منشورات جمعية تطاون أسمير

الأجواق النسوية بمدينة تطوان

مصطفى اخليفة

منشورات جمعية تطاون أسمير

الأجواق النسوية بمدينة تطوان

مصطفى اخليفة

الطبعة الأولى
1423 هـ - 2003 م

الكتاب : الأجواق النسوية بمدينة تطوان

المؤلف :مصطفى اخليفة

الطبعة : الأولى (2003)

السحب : مطبعة الخليج العربي - تطوان

الإيداع القانوني : 2003/1738

الناشر: منشورات جمعية تطاون أسمير

الطبع : مطبعة الخليج العربي - تطوان

مقدمـــة :

لمدينة تطوان خصائص تراثية عريقة تمتاز وتشتهر بها، والأجواق النسوية واحدة من هـذه الخصـائص، ولاشـك أن هـذه الأجـواق نشـأت داخـل المدينة القديمة بين الأسر التطوانية القادمـة مـن الأندلـس، فـبحكم الموقـع الجغـرافي لمدينة تطوان، فإن هذه المدينة استقبلت الأسر الأندلسية، التي جلبت معها ثقافتها وعلومها وعادتها وفنونها، وكانت هذه الأسر شديدة الولع بالموسـيقى الأندلسـية، حيـث تنافست على حفظها وتأديتها على سبيل الهواية لا الاحتراف، فـالكل يعشق هذه الموسيقى رجالا و نساءا، ويشجع أبناءه على تعلمها، وذلك قصد إستمراريتها عـن طـريق الـتوارث والتقلـيد الشـفوي، وهـذا ما جعل هذه المدينة تحافظ على ما تبقى من هذا التراث الأصيل إلى يومنا هذا .

وبمـا أن هـذه الأسـر التطوانـية كانت تضفي على حفلاتها وأعراسها طابعا محافظا، لـذا فقـط كانـت تقـيم حفلا خاصا بالنساء وآخر بالرجال، إبان الحفل كان أفراد من هذه الأسر يـرددن صـنائع مـن الموسـيقى الأندلسية المتداولة في وسطهن، مع إتاحة فرص المشاركة لكل من تـتقن العـزف عـلى آلـة أو الغـناء، كما تجتمع بعض هذه الأسر في الأعياد والمناسبات الدينية، لترديـد الأمـداح النبوية والأناشيد الدينية بمختلف طرقها الصوفية، وكن يقمن هذه الطقوس إما في بـيوت بعضـهن وإمـا في الأضـرحة والـزوايا المنتشـرة بالمدينـة، كالزاوية العيساوية والحراقية والريسـونية والقادريـة والتيجانـية وزاويـة سـيدي بن عيسى وغيرها، ولازالت نسوة هذه المدينة يحافظ على هذه العادات والتقاليد .

وكـل هـذه العوامـل الـتي ذكرناها حفزت بعض النسوة إلى احتراف العمل الموسيقي، وتكويـن أجواقـا خاصـة بهـن تجمع بين العرف والغناء، ولعدم توفرنا على وثائق تثبت تاريخا محـددا لنشأة وتكوين هذه الأجواق، سيما وأنني لم أعثر على وثيقة أو مرجع يمكن اللجوء إليه في هـذا الموضـوع، لذا يمكن لي القول إن ظهور هذه الأجواق كانت وليدة هذه الطقوس والعادات الاحتفالية النسائية بتطوان.

والأجـواق النسـوية تعـتمد أساسـا في عروضها على الموسيقى الأندلسية، بالإضافة إلى إبداعـات غنائية نسوية تطوانية، وهذه الأغنية نشأت بدورها في حظن هذه الأجواق، وقد لمعت في مجـال هذه الأغنية عدة أسماء أسهمن وأبدعن في هذا المجال سأذكر بعضا منها في الصفحات الآتـية، ومـع مـرور الوقـت أصـبح لمدينة تطوان أجواقا نسوية محترفة، تحيي الحفلات مقابل أجـرا معيـنا بالاتفـاق مـع مـن يدعونهـم لإحـياء حفلاتهم، إذ أصبح الإقبال على هذه الأجواق يـتزايد لـيس فقـط في مدينة تطوان فحسب، بل تعداها إلى باقي المدن الشمالية، وبدأت تشارك هـذه الأجـواق في مهرجانات والأفراح الوطنية الكبرى، ومثلت المغرب في كثير من الدول العربية والإفريقية والغربية، وبهذا نحتت لنفسها مكانة متميزة ضمن معمار الموسيقى التراثية المغربية .

كمـا أرى مـن الضروري أن أشير إلى أن هذا الكتيب هو مجهود فردي، وذلك لافتقار مكتبتـنا إلى كـتابات في هذا الموضوع، كما اعترضتني مشاكل كثيرة بسبب عزوف بعض عائلات الفـنانات المتوفـيات عـن تـزويدي بمعلومـات عـن حـياتهن وفـنهن كانـت يمكن أن تثري هذه الدراسة، وتزيد في إفادة القارئ الكريم، وذلك لأسباب لا يمكن اعتبارها موضوعية .

والحالـة هـذه مـن الطبيعي أن يكون هذا الكتيب قاصرا عن الإحاطة والشمول، ورغم كل ذلك لم أدخر جهدا في الإتصال والبحث والتنقيب، من أجل تسليط الضوء على هذا الصنف الجميل من تراثنا الأصيل .

كمـا يجب أن لا يفوتني أن أشكر جزيل الشكر، كل من ساعدني وزودني بمعلومات أفادتني في هذه الدراسة المتواضعة .

وأرجو من الله التوفيق .

المؤلف

مصطفى أخليفة

الجوق النسوي التطواني :

هـو فـرقة موسيقية جميع أعضائها نساءا، وتكوينه غير محدد العدد، فهو يتراوح ما بـين خمسـة إلى عشرة عضوات، وقد يصل العدد أكثر، وذلك حسب المكانة الفنية التي تتبوؤها رئيسـة الجـوق داخـل المجـتمع النسـائي بـتطوان، وحسب تمكن هذا الجوق من أداء الموسيقى الأندلسـية أداءاً متقنا، وذلك أن هذا النوع من الموسيقى يحظى بالأولوية عند الجمهور التطواني —الرجال والنساء على سواء— بل هذا الجمهور يحظر الحفلات والعروض الموسيقية التي تقدمها أشـهر الأجـواق التطوانـية، ولا يكتفي بالاستماع فقط بل يردد إيقاعاتها وألحانها على أتم وجه وأكمل صورة .

تـترأس الجـوق فـنانة مقـتدرة تعـزف عـلى الكمـان أو العـود، كما تقوم بدور المغنية الأولى، تصـاحبها عازفـات عـلى الآلات وتـرية كالكمـان أو العـود، وآلات الإيقاعـية كـالدف والدربوكـة والـتعريجة والبـندير، والعازفات أنفسهن يقمن بدور المرددات "الكورس" فهن يعزفن ويغـنين في آن واحـد شـأن الجـوق الأندلسـي الـرجالي، كمـا تـدرج هذه الأجواق أغاني نسوية تطوانية ضمن برامجهن، ويقدمن عروضهن جالسات وآلاتهن فوق ركبتهن، ويبقى أمامهن مكان فـارغ يخصـص لمـن تـريد الـرقص مـن الحاضارات، وذلك تعبيرا عن فرح بزواج أخت أو أخ أو صـديقة أو ابـن أو بنـت وغير ذلك من المناسبات المفرحة، وهي رقصة كانت تتم في وسط نسوي محض .

الملابس التي يرتديها الجوق النسوي :

تظهر عضوات الجوق بأبهى زينة، مرتديات لباسهن التقليدي المميز الذي يتكون من قفطـان ذي ألوان جميلة ويضفن فوقه قطعة أخرى تسمى "الدفين" وهو ذو ثوب حريري خفيف وشـفاف، ويشددن خصرهن بحزام، وهذا الحزام إما يكون من نفس ثوب القفطان أو من الذهب ويسـمى «أَلْمَضَـمَّة» كمـا يتمـيز هذا الزي بغطاء الرأس المعروف بـ «السبنية د البجر» وهي عبارة عـن مـنديل تـزين بـه العازفـة رأسـها بطـريقة خاصـة، ويعقـدن فـــوق هذه السبنية عصابـــة

« ألْحَـرَازْ» ذي الألـوان الزاهـية الذي يكون في مقدمة الرأس، وينتعلن «الشْربيلْ» وهو ضرب من أحديـة التقليدية المزركشة بخيوط ذهبية وفضية لماعة،ويتزين بالحلي الذهبية من أساور وخواتم وأقراط، ولا تسمح رئيسة الجوق لأي عازفة بالظهور إلى الجمهور قبل ارتدائها هذا الزي بأناقة.

المناسبات التي يحييها الجوق النسوي :

لا يمكـن أ نتصـور حفلـة عـرس بمدينة تطوان دون جوق نسوي، لا فرق في ذلك بين الأسـر الغنـية والفقـيرة، كما سبق القول فإن الأعراس التطوانية تنقسم إلى حفلة خاصة بالرجال وحفلـة خاصـة بالنسـاء، فـالجوق النسـوي هـو الذي يحيي حفلات الأعراس النسائية، كما أن هـناك بعـض الأسـر الغنـية تدعو الجوق النسوي لإحياء حفلاتها المختلفة، كالعقيقة والختان أو عـندما تصـوم الطفلـة رمضـان لأول مـرة أو عند عودة قريب طال غيابه وغير ذلك من المناسبات السعيدة .

كمـا يشارك الجوق النسوي في الأعياد الوطنية والدينية، ويشارك في الأعمال الخيرية والإنسـانية، والمهـرجانات الثقافـية والفنـية، هذا وقد أصبح الجوق النسوي يمثل المغرب كفرقة موسيقية فلكلورية في أنحاء مختلفة من العالم .

ملحوظـة :

لقـد استعملت في هذا الدراسة كلمة الجوق النسوي بدلا من الفرقة النسوية، لأن هذه التسـمية هـي المـتداولة بين التطوانيين، و الجوق هو عبارة عن فرقة موسيقية تجمع بين العزف والغناء .

يظهر في الصورة جوق الشهابة بهندامه التقليدي الجميل وهو يحيي إحدى الحفلات، التقطت هذه الصورة سنة 1971م، وتعود إلى أرشيف المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان.

الأغنية النسوية التطوانية :

تعرضت الأغنية النسوية التطوانية لمؤثرات عديدة ناجمة عن احتكاكها بالموسيقى الأندلسية، وذلك لتأصل هذا النوع في وجدان المجتمع التطواني، وبالتالي نجد أكثر الأغاني النسوية التطوانية تحمل ملامح ألحان وإيقاعات هذه الموسيقى، بخصوص حركتها تعتبر هذه الأغاني متوسطة السرعة في غالبها، وتعتمد الخط اللحني«الميلودية» فقط، وتكرار المقاطع الموسيقية طيلة الأغنية،حتى وإن تغيرت مضامين الأبيات الشعرية، وتدور معظم هذه الأغاني في فلك عاطفي.

تبدأ المغنية الأولى بغناء الجملة اللحنية الرئيسية، ثم تقوم عضوات الجوق بترديد نفس اللحن ونفس الكلمات، تنتقل المغنية الأولى إلى البيت الثاني من الأغنية المصاغ في نفس الجملة اللحنية الأولى، تردد الجماعة مرة أخرى نفس البيت أو مطلع الأغنية، وتستمر المغنية و المجموعة في غناء هذه المقاطع بالتناوب، وعندما تقترب الأغنية من نهايتها يميل الإيقاع إما إلى البطء والاتساع «Ritardando » وإما إلى سرعة «Accelerando» معلنا بذلك عن نهاية الأغنية .

وفيما يلي نموذج لأحد التصاميم لأغنية نسوية تطوانية :

اللازمة : تتكون من لحن «أ» يعزفه الجوق

مطلع الأغنية : يتكون من لحن «أ» تتغنى به المغنية الأولى، مع مصاحبة الجوق.

فاصل الجوق : يصاغ في لحن «أ» يغنى ويعزف في آن واحد طيلة الأغنية، يردد فيه الجوق إما مطلع الأغنية، أو إعادة نفس البيت الذي تنتهي منه المغنية مباشرة.

الختام : يصاغ في لحن «ب» وهو إما ذو طابع بطيئ يميل إلى الاتساع إيقاعا ولحنا وإما يميل إلى السرعة معلنا بذلك عن نهاية الأغنية .

والفنانات اللواتي نبغن في هذا اللون من الغناء، وقبل أن يلجن ميدان الإبداع، درسن قواعد الموسيقى الأندلسية عزفا وإنشادا، واكتسبن خبرة أساسية بألحانها ومقاماتها

وإيقاعاتها، وكن يعشقن الموسيقى بإخلاص شديد ويتعاطيناها بسعادة وسرور، وكن ينشدن في إبداعاتهن الجودة و الأصالة، ولم يكن همهن الربح المادي والاتجار بفنهن. وكن مؤمنات بأن الفن بصفة عامة هو قبل كل شيء أخلاق حميدة ومبادئ وقيم إنسانية نبيلة، ومن تلك الفنانات من سخرت فنها للأعمال الخيرية والإنسانية، وساهمت في الدفاع عن الوحدة الوطنية والمطالبة بالاستقلال والحرية، وقد تم ذلك في وقت كان احتراف المرأة المغربية للفن لا يليق بالتقاليد والعادات داخل مجتمع متدين ومحافظ، وبالرغم من هذا لقيت الفنانة التطوانية التشجيع والتأييد من الجماهير التطوانية المحبة للفن وللمبدعين في مجاله.

وكلمات الأغاني النسوية نابعة من اللهجة العامية المستعملة في الحياة اليومية في مدينة تطوان، وهي واضحة المعاني سهلة الفهم وقريبة جدا إلى اللغة العربية الفصحى، إلا أن أهل تطوان يقلبون بعض الحروف فعلى سبيل المثال : الراء تصبح غينا والقاف يصبح ألفا إلخ .

نموذج من الأغاني النسوية التطوانية :

يلا يلا يلالي يلا يلالي	أسدي حبيبي على الهوا مبغى يدير فصال
أمسى الخير عليكم أنعم الله مساكم	حاجة وماجبتني غير نظرة فوجاكم
يا لمشموم فجاجة يلمشموم فجاجة	ميكنشوف مجماعكم قلبي كيتفاجة
طر ودربوكة والمسويا بالعيدان	الله يا من هو ظريف شعلتي فقلبي النيران
هز الطر يتكلم هزطر يتكلم	كويتني بالنظرة عاسي ماتتلكم
ديك الزهر مأتت لي سومو يشريه	وناحبيبي ديالي نفنى ونموت عليه
جاتني البرا وقريتا وعرفت دمن الخط	لهلا يحرمنا حتى نوفيو العهد

---

[1]- يلا يلالي : لاتحمل في حد ذاتها معنى لغوي، بل هي عبارة عن ألفاظ تستعمل لتكملة البناء الشعري واللحني للقطعة الغنائية. الهوا مبغى يدير فصال : الحب لم يردأن يضع حلا .

[2]- فوجاكم : وجهكم .

[3]- بالمشموم فجاجة : باقة ورد في مزهرية زجاجية. ميكنشوف : عندما أرى. كيتفاجة : ينشرح.

[4]- عاسي ما تتكلم : فبالأحرى عندما تتكلم .

[5]- دمن الخط : لمن هو الخط . لهلا يحرمنا : الله لا يحرمنا .

بعض الفنانات البارزات في مجال الموسيقى والغناء :

سأذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الفنانات اللواتي اشتهرن بمدينة تطوان، وكن بحق عازفات متمرسات ومغنيات جيدات ومبدعات متميزات، حيث كان حظورهن بارزا في جميع المناسبات الاجتماعية، ولازال يتذكرهم من عايشهم واستمع إليهم بإعجاب شديد، ولازالت إبداعاتهن تلقى تقدير إلى يومنا هذا، فهذه الفئة من الفنانات تستحق كل تقدير وإعجاب، فبفضلهن حافظت مدينة تطوان على هذا اللون من التراث الأصيل الذي نعتز ونفتخر به كمغاربة، فلا بأس أن أذكر بعض هذه الأسماء، وما غاب منها لا يعني إهمالا أو استقصاء، وإنما لعدم حصولي بشكل كافي على معلومات تتعلق بحياتهن وتجاربهن، وذلك لأسباب خارجة عن إرادتي، ومن أبرز الأسماء في هذا المجال نجد : منانة الخراز و فامة ابن الأشهب و عالية المجاهد وفطومة مزواق والزهرة ابطيو وعشوشة الغازي... وغيرهن .

وفيما يلي قراءة في بعض من هذه الأسماء :

<u>الفنانة «منانة الخراز»:</u>

ولدت الفنانة منانة الخراز بمدينة تطوان يوم 21 من شهر شتنبر سنة 1921م، والحديث عن حياة الفنانة القديرة منانة الخراز، يعني الحديث عن فنانة محترفة بأوسع معاني الكلمة، فهي تتوفر على كل المواصفات في ميدانها الموسيقي . بدأت حياتها الفنية حينما بدأت تبرز في فن الغناء أولا بتقليد والدها الراحل السيد محمد الخراز، الذي كان معروفا بالإنشاد في الزاوية العيساوية . ثم تتلمذت على يد كبار الموسيقيين التطوانيين في بيت الشريف الوالي الصالح سيدي محمد بلبشير الريسوني، وكان يلقنها العزف على العود في نفس الوقت زوجها الأستاذ عبد السلام الصباح إلى أن نبغت في فن الغناء والأداء .

وفي سنة 1956م إلتحقت بالمعهد الموسيقي بتطوان بجانب زوجها، أستاذة لمادة العزف على آلة العود وتلقين الطرب الأندلسي، وخلال المدة التي قضتها في المعهد الموسيقي

وهي «25» خمسة وعشرون سنة . تخرج على يدها عدد كبير من التلميذات منهن من برزت في فن الغناء والعزف وأصبحت لهن شهرة، وطيلة حياتها الفنية أحيت حفلات كثيرة لجمع التبرعات التي كانت تقدمها لمساعدة الشعب الجزائري الذي كان يكافح آنذاك من أجل الحصول على استقلاله . كما أحيت حفلات كثيرة لجمع التبرعات للجمعية الخيرية الإسلامية بتطوان . وغداة إستقلال وطننا المغرب قامت بإحياء حفلات أيضا لجمع التبرعات لأبناء شهداء الحرية والاستقلال برئاسة صاحبة السمو الملكي الأميرة الجليلة اللاعائشة بمدينة الرباط .

وأيام الاستعمار...في الثلاثينات كانت تبث روح الوطنية بين سيدات تطوان، وأثناء الحفلات كانت تلقى الأناشيد الوطنية للسيدات وتحي الأسرة العلوية الشريفة الشيء الذي عرضها لمضايقات كبيرة إلى أن حكم عليها بالسجن والغرامة والجلد، ولكن تدخل سمو الأمير الراحل –تغمده الله برحمته– مولاي الحسن بالمهدي أنقذها وأعاد لها كرامتها .

واشتهرت السيدة منانة الخراز بمجموعة من الأغاني التطوانية الشعبية التي كانت تضع لها الكلمة والألحان ذات المواضيع العاطفية والوطنية .

كما سجلت لها الإذاعة الجهوية بمدينة تطوان مجموعة من الأغاني، ولازالت تداع هذه الأغاني من حين لآخر، كما اشتهرت بجوقها النسوي المعروف بين أهل تطوان، وأحيت الفنانة منانة الخراز مجموعة من الحفلات داخل المغرب وخارجه من ذلك سهرتها على مسرح الأوبيرا بباريس .

وكانت الفنانة منانة الخراز على جانب كبير من حسن الخلق، والإلتزام في عملها وحث تلاميذاتها على الاجتهاد والتحصيل، وقد استمرت في العطاء والإخلاص الفني حتى وفاها الأجل المحتوم بعد مرض منذ يوم السبت 17 نوفمبر 1984م بمدينة تطوان .

رحم الله الفقيدة منانة الخراز وأسكنها فسيح جناته .

ألكسُولي أعْليوة المشهورة فنيا بـ « عالية المجاهد» :

ولدت الفنانة عالية المجاهد بمدينة تطوان سنة 1941، وتعتبر من العناصر الغنائية النسائية المتميزة التي أفرزها المجتمع النسائي بهذه المدينة، وقد درست بالمعهد الموسيقي بتطوان المبادئ الأولية لمادة التكوين الموسيقي« الصوفليج» مدة ثلاث سنوات على يد أحد رواد الموسيقى الأكاديمية بالمغرب الأستاذ محمد الديلان، كما درست الموسيقى الأندلسية والعزف على آلة العود مدة ستة سنوات على يد الأستاذة القديرة منانة الخراز، وكانت حسب شهادة معاصريها تلميذة مجتهدة تتمتع بذكاء حاد فلا تكاد تسمع صنعة موسيقية أندلسية مرات قليلة إلا وحفظتها عن ظهر قلب .

وبعد قضائها ستة سنوات من الدراسة والتحصيل بالمعهد الموسيقي بتطوان، وهذا المستوى كان يخول لها العمل كأستاذة بنفس المعهد، لكنها فضلت توسيع مجال دراستها وتشبع مواهبها أكثر فأكثر، لذلك نجدها تشد الرحال إلى عاصمة المملكة مدينة الرباط في مطلع الستينات، فأتيحت لها فرصة للالتقاء بفنانيها وملحنيها وموسيقييها، ومن بين هؤلاء الفنان الكبير مولاي أحمد الوكيلي، الذي كان له باع طويل وشهرة كبيرة في مجال الموسيقى الأندلسية، وعندما استمع إليها بمعية بعض المسؤولين على دار الإذاعة والتلفزة المغربية، أعجب بصوتها الحنون وعزفها على آلة العود، ولم يخفي رغبته في أن تشترك معه ضمن فرقته الموسيقية، وفعلا كان له ما رغب فيه، وفي ذلك ما فيه من شهادة واعتراف لهذه الفنانة الموهوبة .

ومما ساعدها أكثر في ميدانها الفني اقترانها بالفنان القدير السيد محمد الطود، حيث استفادت الكثير من معرفته وخبرته بأصول الموسيقى الأندلسية عزفا وإنشادا . وقد أسست الفنانة عالية المجاهد أول جوق نسوي خاص بها يتكون من ستة عضوات وذلك سنة 1961م، وساهمت في مجال الأغنية النسوية التطوانية بالعديد من الأغاني التي كانت تضع لها الكلمة والألحان، وقد حازت أغانيها إعجابا واستحسانا في الأوساط الفنية، ونالت أغانيها نجاحا كبيرا وسط

الجماهير التطوانية، ولازالت أغانيها تداع من حين لآخر في الإذاعات الوطنية، كما شاركت الفنانة في العديد من الملتقيات والمهرجانات والبرامج الموسيقية على امتداد الساحة الوطنية .

وتتذكر الفنانة عالية المجاهد مسقط رئسها وبعبارة مؤثرة تقول :" رغم بعدي عن تطوان طول هذه السنين، وارتباطي بأسرتي الصغيرة التي تستقر بمدينة سلا، فإن الحمامة البيضاء «تطوان» قد وشمت ذاكرتي بآثار لا تمحوها السنون، فلازلت أتذكر العادات والتقاليد التطوانية الأصيلة، وأعراس المدنية التي كانت تحييها الأجواق النسوية الرائدة، ولازلت أتذكر الفضاءات الطبيعية الخلابة بضواحي تطوان، وجل إبداعاتي الغنائية كانت بهذه الضواحي، ولازلت أزورها وأصل الرحم بالأهل والأحباب كلما أتيحت لي الفرصة ".

الفنانة عالية المجاهد

الفنانة « شهابة» :

اشتهرت مدينة تطوان كما سبق القول بالأجواق النسوية، وهي الوحيدة التي تمتاز بهذه الخاصية على غير المدن المغربية الأخرى، وقد نبغت في هذا المجال الفنانة فامة محمد ابن الأشهب التي اشتهرت باسم «الشهابة» وهي من مواليد مدينة تطوان سنة 1922م، ويعتبر جوق الفنانة الشهابة من أشهر الأجواق النسوية بالمدينة، لأنه كان يستقطب أمهر العازفات وأجملهن صوتا، وكانت الشهابة تسهر على تدريب عضوات الجوق بنفسها، وتختار الأزياء التقليدية اللائقة، فهي تعتبر كذلك خياطة ماهرة تبتكر في تجميل هذه الملابس وتطريزها بذوق رفيع .

وقد ترأست الفنانة الشهابة أول جوق نسوي سنة 1962م، وشاركت ضمن جوقها كعازفة على آلة الكمان، مع مرور الوقت أصبح جوق الشهابة لا يرقي إليه منافس، فهو الجوق النسوي الأكثر حضورا في المناسبات الاجتماعية والأعياد الوطنية، وكان يقتصر هذا الجوق في عروضه على الموسيقى الأندلسية والأغنية النسوية التطوانية، كما شارك جوق الشهابة في العديد من التظاهرات الفنية في أنحاء مختلفة من العالم.

الفنانة الشهابة

بعض الفنانات المتميزات في وقتنا الحاضر :

سأدرج إسمان من الجيل الحالي، واللواتي يتوفرن على دراسة موسيقية، ويمارسن هذا النوع من الفن بحب وإخلاص، وعلى مثلهن نعول للحفاظ على هذا التراث الخالد والإبداع في مجاله، حتى يبقى جوهرة لماعة بين الجواهر الثمينة من فنوننا التراثية الأصيلة والتي يزخر بها مغربنا الحبيب .

الفنانة «نجاة البراق» :

ولدت نجاة البراق بمدينة تطوان سنة 1970م، وقد تلقت دراستها بالمعهد الموسيقي بتطوان، وحصلت على الجائزة الأولى والجائزة الشرفية في الموسيقى الأندلسية، كما حصلت على السابعة في التكوين الموسيقي« الصولفيج» وتزاول حاليا مهنة التدريس بنفس المعهد، وتعمل جاهدة لتعليم تلميذات المعهد قواعد الموسيقى الأندلسية عزفا وإنشادا، حتى يحملن المشعل بدورهن في المستقبل، ويحافظن على هذا الفن المغربي الأصيل كما حفظه لنا أجدادنا وآباؤنا . شاركت نجاة البراق كعازفة على آلة العود ومنشدة محنكة ضمن الأجواق النسوية في العديد من المهرجانات و اللقاءات الموسيقية داخل المغرب وخارجه .

الفنانة نجاة البراق

الفنانة «وفاء العسري» :

الفنانة وفاء العسري من مواليد سنة 1967م بمدينة تطوان، وقد درست بالمعهد الموسيقي بتطوان، وحصلت على تكوين مهم في الموسيقى الأندلسية والتكوين الموسيقي « الصولفيج» وأسست وفاء العسري أول جوق نسوي تحت اسم جوف الإخلاص وذلك سنة 1989م، ومنذ هذا التاريخ وجوق الإخلاص يسير بثبات ويحقق نجاحا تلو الآخر، كما يعتبر من الأجواق القليلة التي تحافظ على أصالة هذا التراث التطواني الأصيل، وقد شارك جوق الإخلاص في عدة مهرجانات ثقافية داخل المغرب وخارجه، وطنيا شارك في معرض الدار البيضاء للكتاب ومهرجان أصيلة و خميس التراث بمدينة فاس وأحيى حفلات فنية مع مركز الفرنسي بطنجة و تطوان، كما شارك في مناسبات ثقافية بسلا وشفشاون والعرائش والقصر الكبير وعدة مدن أخرى، أما عربيا فشارك في مهرجان الموسيقى العربية بمصر وتونس، أما دوليا فقد مثل بلادنا تمثيلا مشرفا في كل من تركيا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا وفرنسا . وهكذا أصبح جوق الإخلاص النسوي يتمتع بشهرة كبيرة وحظورا واسعا، ولازال مستمرا بعطاءاته وتدريباته للحفاظ على أصالته وحظوره .

الفنانة وفاء العسري

انطباعات حول الأجواق النسوية بمدينة تطوان :

وأنا أتناول موضوع الأجواق النسوية بتطوان، رأيت من المناسب أن أعززه بانطباع نسوي من أهل المدينة، وقد زودتني بهذا الانطباع إحدى الفاعلات في الحقل الثقافي التطواني السيدة حسناء داود محافظة المكتبة الداودية .

وفيما يلي انطباعات الأستاذة الفاضلة :

"إن ظاهرة وجود الأجواق والفرق الغنائية النسوية في مدينة تطوان ليست ظاهرة جديدة أو مختلقة، وإنما هي امتداد لما كان في هذه المدينة من اهتمام بالفن وأنواعه منذ شاء القدر لها أن تأخذ مكانها بين حواضر المغرب العريقة التي استأثرت باحتضان الإرث الحضاري الذي انتقل إلينا من الفردوس المفقود .

فتطوان، هذه الجوهرة الثمينة التي احتضنت بين أسوارها القديمة سرا لا يدركه إلا ذوو الأبصار والبصائر التي تستطلع خبايا ما بين الدروب وخفايا ما ضمن الصدور والألباب، إنك لتمر بين دروبها الصامتة الهادئة، فتشاهد أبواب دورها العتيقة، وتشم رائحة التاريخ، وتلمس ثقل الحس الحضاري، وتحس بنكهة العراقة .

وإنك لتدخل إلى بيوتها الجميلة، فنشاهد حسن الترتيب والتنسيق، وبراعة التنظيم والتنميق، وكأن المشهد أمامك عبارة عن لوحة فنان مبدع، إنها لوحة من إبداع المرأة التطوانية ذات الذوق الرفيع والفن البديع، هذه المرأة التي تعشق الفن وتحب الطرب وتعقد مع جليساتها تجمعات كلها غناء وأنغام، وانشراح وانسجام...

وإنك لتحضر في المناسبات السعيدة للأسرة التطوانية، فتجد للنساء فيها أوقاتا خاصة يحضرن فيها بعيدا عن أعين الرجال، التزاما بما يفرضه الدين الإسلامي الحنيف من العفة، فيغنين ويطربن ويعبرن عن فرحتهن بالمناسبة المحتفى بها...

وإنك إذا أغمضت عينيك وسرت في درب الحلم الذي ينتقل بك عبر نفق التاريخ، ستجد نفسك في بساتين تطوان الغناء، وقد وضعت المطارف والحشايا على بساط العشب

الأخضر تحت الدوالي وأشجار الفواكه وعروش الورود، لتجلس عليها الصبايا الجميلات، وقد تحلين بأحسن أزيائهن، وجملن رؤوسهن بأرق وأجمل الزهور، ووضعن أمامهن أطباقا قد رصت فيها أنواع الياسمين والورود، لكي ينعمن بجمال الطبيعة وحلاوة المجلس، وقد أخذن آلات الإيقاع الخفيفة، لتنطلق ألسنتهن بالإنشاد والإبداع، مع ضبط في الضرب والإيقاع، بينما تنطلق الفاتنات الصغيرات للتأرجح على نغمات العروبيات التي تفتح بينهن باب التباري والتنافس في ميدان الحفظ والأداء ...

وكل هؤلاء كن معروفات في الربع الأول من القرن العشرين، بينما اشتهر من الغنايات والمداحات في الربع الثاني والثالث منه كل من: الحاجة رحيمو المعروفة بلقب سيلي،ومنانة الخراز، وفامة ابن الأشهب، وكلهن من الحافظات للموشحات والأزجال والقصائد والأغاني ومن العازفات على العود، كما أن كلا منهن كانت لها فرقتها التي تصاحبها لإحياء المناسبات . ثم الزهرة أبطيو، وكانت فنانة رقيقة ذات صوت عذب جميل، بالإضافة إلى أنها عازفة ماهرة على الكمان. ومن الحافظات المولعات المرافقات للأجواق نتذكر أمينة عبو، والحاجة أمينة بوزيان إلخ .

واليوم، وقد أخرج المعهد الفني بتطوان الكثير من الفنانين والفنانات، فإننا نلاحظ ظهور المزيد من الأجواق والفرق الغنائية النسوية التي تساهم في إحياء مختلف المناسبات، وكل ما يمكن أن يقال في الموضوع هو أن الكثرة لا تعني الجودة، وإنما العبرة باحترام قداسة هذا الفن وتقدير قيمته وإفساح المجال لمن يتقنه ولمن يسمو به عن التفاهات .

إن الفن لا يمكن أن يؤدي رسالته إلا إذا قدره من يتعاطاه، وأملنا أن تبقى تطوان رائدة في هذا المجال كما عهدناها، بلد الأصالة والحضارة والرقي، بلد الأناقة واللطف والجمال، بلد الوداعة والرقة والفن .

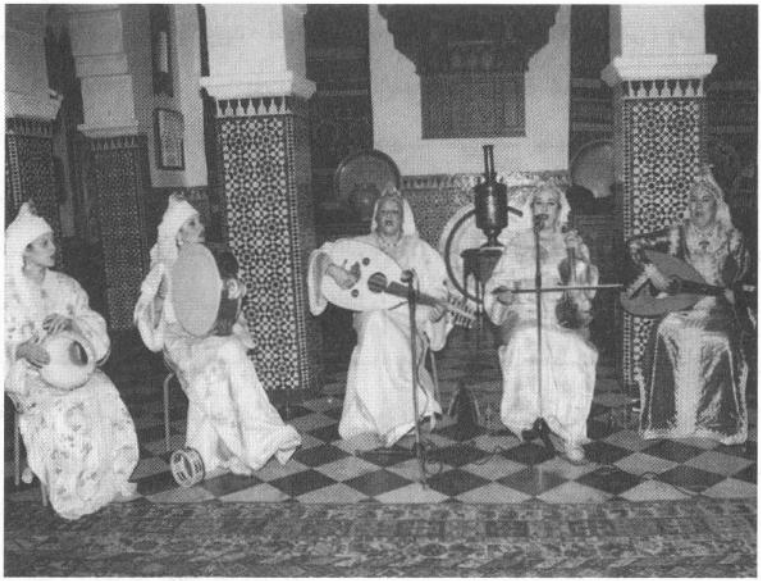

نلاحظ في الصورة الجوق النسوي بلباسه التقليدي المميز، كما نلاحظ هذه القاعة المصممة بمواصفات معمارية أندلسية، تزنها أفرشة وأقواس وفسيفساء ونخارف على الخشب والجبص والرخام وغيرها من فنون الصناعة التقليدية، إن هذه المنازل الأندلسية التي تزخر بها مدينة تطوان التاريخية، تعتبر آية من ايات الجمال ومشهدا من مشاهد الأصالة العريقة، لذا ومن هذا الموقف أثير انتباه كل الغيورين من أبناء هذه المدينة إلى هذه التحف التراثية الرائعة وذلك قصد العناية والإهتمام بها.

الأجواق النسوية في وقتنا الراهن :

لازالت مدينة تطوان تحافظ على ظاهرة الأجواق النسوية حتى اليوم بل أصبحت الساحة الموسيقية بهذه المدينة تشهد زخما من هذه الأجواق، وهذا شيء إيجابي بالنسبة للكثيرات، حيث وجدن عملا ساعدهن على تحسين وضعيتهن المادية و الاجتماعية، ولكن هذه المجموعات على كثرتها لم تحقق قفزة نوعية، ولم تضف إلى الأغنية النسوية ولو لحنا جديدا، واكتفت بتكرار ما أبدعته الرائدات في هذا المجال، وبالتالي أصبحت الأغنية النسوية التطوانية مفتقرة إلى ملحنات مبدعات يساهمن في استمرار وإثراء هذا النوع من الغناء .

كما بدأت هذه الأجواق تتخلى عن اللباس المتعارف عليه، وأدخلت آلات حديثة كالأرج الإلكتروني، وإضافة العنصر الرجالي إلى كثير من المجموعات، كما أصبحت عروضها خليط من الأنواع الغنائية «شرقي- شعبي- خليجي- أندلسي... الخ، ويعزى ذلك إلى إرضاء أذواق الجمهور رغم أن المسؤولية تقع على الفنان في توجيه أذواق الجماهير لا العكس . وخلاصة القول أن معظم هذه الأجواق ليست كلها تتحلى بالالتزام وإتقان المهنة، فبدأت تبتعد عن الجوق النسوي التطواني شكلا ومضمونا .

الختـام :

وفي الختام نقترح على الجهات المسؤولة محليا أو وطنيا، العمل على تأسيس جوق نسوي نموذجي ينتمي إلى المعهد الموسيقي بتطوان على غرار الجوق الأندلسي الرجالي، وأن تقوم هذه الجهات باحتضانه وتجهيزه بكافة المستلزمات الفنية من آلات ولباس وتأطير .

والمعهد الموسيقي بتطوان يتوفر على مجموعة من الطالبات اللواتي يتعلمن أصول العزف على إحدى آلات الموسيقية وإنشاد الصنائع الأندلسية، فهن مؤهلات بالموهبة والدراسة لكي يكون جوقا نسويا محترفا، كما نقترح إقامة مهرجانا سنويا يخصص تماما لهذا النوع من التراث، مع تخصيص الجوائز التحفيزية لأجود هذه الأجواق، لبث روح المنافسة والاجتهاد والإبداع في هذا المجال، وتكريم الأسماء البارزة في هذا النوع من التراث الراحلات منهن ومن لازلن على قيد الحياة، كما نقترح إعادة إنتاج أغاني الرائدات وتسجيل كل ما طاوله النسيان، وبث هذه الأغاني في الوسائل الإعلام الوطنية، وذلك من أجل المحافظة على هذا التراث الفني الأندلس المغربي الأصيل، وحتى يبقى قدر الإمكان قريبا إلى ما كانت عليه الأجواق النسوية الرائدة، التي كانت تتميز بالصوت الحسن والنغمة الجميلة والعزف النظيف .

ولست أعني الوقوف عند هذا الحد والتقيد بالأصالة، بل الإستحاء منها للقدرة علي إبراز والعمل على إغنائه ورقية، وهذا يحتاج إلى الطاقات الخلاقة من الموسيقيين الدارسين والمهتمين بهذا الميدان .

في الصورة نرى مجموعة من تلميذات المعهد الموسيقي بتطوان بلباسهن التقليدي الجميل والمميز، وهن يرددن وراء جوق المعهد الموسيقي صنائع من الموسيقى الأندلسية.

فهرس

مقدمة 1

الجوق النسوي التطواني 3

الملابس التي يرتديها الجوق النسوي 3

المناسبات التي يحييها الجوق النسوي 4

الأغنية النسوية التطوانية 5

بعض الفنانات البارزات في مجال الموسيقى والغناء 7

بعض الفنانات المتميزات في وقتنا الحاضر 12

انطباعات حول الأجواق النسوية بمدينة تطوان 14

الأجواق النسوية في وقتنا الراهن 16

الختـــام 17

مصطفى اخليفة

من مواليد مدينة تطوان سنة 1957 .

حاصل على الجائزة الأولى في التكوين الموسيقي والجائـــزة الشرفية في العزف على آلة الساكسفون.

حاليا يزاول مهامه أستاذا بالمعهد الوطني للموسيقى بتطوان

شارك في عدة تظاهرات موسيقية وطنيا ودوليا.

يهتم بالتراث الجبلي عموما، نشرت له في هذا الصدد مقالات في الصحف الوطنية.

يوجد له كتاب «منهجية العزف على آلة الساكسفون».

جمعيـة تطـاون أسميـر

٨، شـارع يعـقـوب المنصـور ـ تطـوان

الهاتف: 039 70 20 25

الفاكس: 039 70 20 05

البريد الإلكتروني: Asmir@cyber.net.ma